المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والعشرين

١ مارس (آذار) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٤ ذي الحجة سنة ١٣٢١

الحرب بين الروس واليابان

نكتب هذه السطور وقد تفاقمت الخطوب في الشرق الاقصى وقامت اليابان بنت الامس في العمران الحديث تتهدَّد روسيا المنيعة الجانب الشديدة الدولة التي يدين لها مئة وثلاثون مليوناً من النفوس وتخفق رايتها على نصف اسيا واكثر من نصف اوربا . وتحسب اليابان انها تعود من هذه الحرب ظافرة غانمة لانها اعدَّت من الاساطيل في بحرها وبحر الصين ما هو اقوى من الاسطول الروسي الذي هنالك ولأنها معتمدة على تحالفها مع انكلترا . وقد ضربت الضربة الاولى قبل ان تعلن الحرب رسميًّا فبيتت الاسطول الروسي وباغتتهُ فاستغرب الناس منها هذه الجرأة ولامها انصار السلم على ذلك اعتقاداً منهم انها لو ضربت اجلاً لانتهاء المخابرات والشروع في القتال اذا لم تُجَب الى مطالبها لتساهلت روسيا لها فامتنعت الحرب او لاستعدَّت للقائها فما تركتها تفوز في اول واقعة فتغتر ويحملها الغرور على مداومة القتال

وكان الاقدمون يحتفلون باعلان الحرب احتفالاً عظيماً ولا تفتح امة على امة حرباً ما لم تنذرها مراراً . فكان عند الرومان طائفة من الفقراء لا عمل لها الاَّ اعلان الحرب للخصوم قبل الشروع فيها وجرت اوربا على هذه الخطة حتى انهُ لما عزم لويس الثالث عشر ملك فرنسا على محاربة اسبانيا في اوائل القرن السابع عشر بعث نذيرهُ الى بلاط ملك اسبانيا ينذرهُ بذلك. ثم لما عزم كارلس العاشر ملك اسوج على محاربة الدنمارك لم يسر خطوةً قبلما وصل نذيرهُ الى عاصمة الدنمارك وانذر ملكها بعزمهِ على محاربتها

ولما نشبت حرب القرم بعثت روسيا تنذر الباب العالي بذلك قبل وقوع القتال بثلاثة ايام ثم لما حاربتهُ ثانية سنة ١٨٧٧ انذرتهُ بالحرب يوم عبرت جنودها تخوم رومانيا . وكذلك لما

عزمت فرنسا على محاربة المانيا امرت وكيلها في برلين ان يعلن بسمارك بذلك . الاَّ ان الحروب التي ابتدأت قبل اعلانها اكثر من الحروب التي ابتدأت بعد اعلانها حتى جرى عندهم القول المأثور اضرب ثم اعلن

واسباب هذه الحرب طمع الدول الاوربية في مملكة الصين الوسيعة فان كل دولة منها تخاف ان تتأثر غيرها بنصيب اكبر من نصيبها ولذلك اتفقت كلها على الامتناع عن تجزئتها وعلى منع ارتقائها . ومدت روسيا سكة الحديد في سيبيريا واوصلتها الى منشوريا وهي الجزء الشمالي الشرقي من بلاد الصين وابلغتها بحر الصين وادَّعت ان الصين لا تستطيع حفظها لاختلال الاحكام فيها فاحتلَّت منشوريا كلها بحجة المحافظة على هذه السكة . فانذرتها الدول مرارًا بالجلاء عنها وفي جملتها دولة اليابان فلم تجل ورأت اليابان ان بقاء روسيا في منشوريا يتهدَّد بلاد كوريا ولليابان مصالح جمَّة في تلك البلاد فطلبت منها الجلاء عن منشوريا او تنصل الحرب بينهما فطلبتها روسيا في الجواب ولعلها قصدت ان يجتمع لها اسطول كبير هنالك قبل ذلك فلم تستطع اليابان صبرًا وقطعت العلائق السياسية مع الروس في ٥ فبراير وارسلت جنودها الى شمولبو مرفإ سيول عاصمة كوريا في ٨ فبراير وامرت اسطولها بالهجوم على اسطول الروس في بورت ارثر . وبورت ارثر هذا مرفأٌ شرقي باكين تنتهي فيهِ سكة منشوريا وقد استأجرهُ الروس من الصينيين وحصنوهُ وجمعوا اسطولهم فيهِ فهجم عليهِ الاسطول الياباني في الثامن من فبراير واستأنف الهجوم في التاسع منهُ وقد وصف مكاتب الدايلي مايل هذه المعركة وصفًا سهلًا قال

معركة بورت آرثر

وصلت في ١٠ فبراير الى ينهو (بمنشوريا) في قطر خصوصي من بورت ارثر وكتبت رسالتي هذه وانا فيهِ حتى لا ابطئ في ارسالها فاني لم اجد سبيلاً الى الخروج من بورت ارثر قبلاً ولا الى ارسال تلغراف طويل كهذا اذ قد منعوا السفن كلها عن السفر من بورت آرثر منذ حدوث المعركة امس الثلثاء وخصوا تلغراف سكة الحديد برسائل رجال البحرية والجيش وغيرهم من موظفي الروس دون سواهم

هذا وفي صباح يوم الاثنين (٨ الجاري) صدرت الاوامر الخصوصية الى جميع الضباط وصف الضباط والعساكر البحرية التي في السفن الروسية والمدَّثق العسكري البحري بالانتقال الى البوارج الروسية الراسية خارج مدخل الميناء في بورت ارثر وهذا المدخل يغلق كل ليلة . وفي منتصف الليل استيقظ اهل بورت ارثر على اصوات المدافع الكبيرة فاسرعتُ الى بطرية

التل واشرفت منها على البحر فرأيت ست نسافات يابانية (سفن التوربيد) قد اقتربت من الاسطول الروسي حتى صارت على بعد نصف ميل منهُ فقط وقد حاكت بوارج الروس في انوارها ومداخنها واشاراتها واعلامها كل المحاكاة ودنت منها جداً قبل ان تشعر بها . ثم اطلقت كلها طرايدها عليها فاصاب ثلثة منها البارجتين الروسيتين زاروتش ورتفيزان والطراد

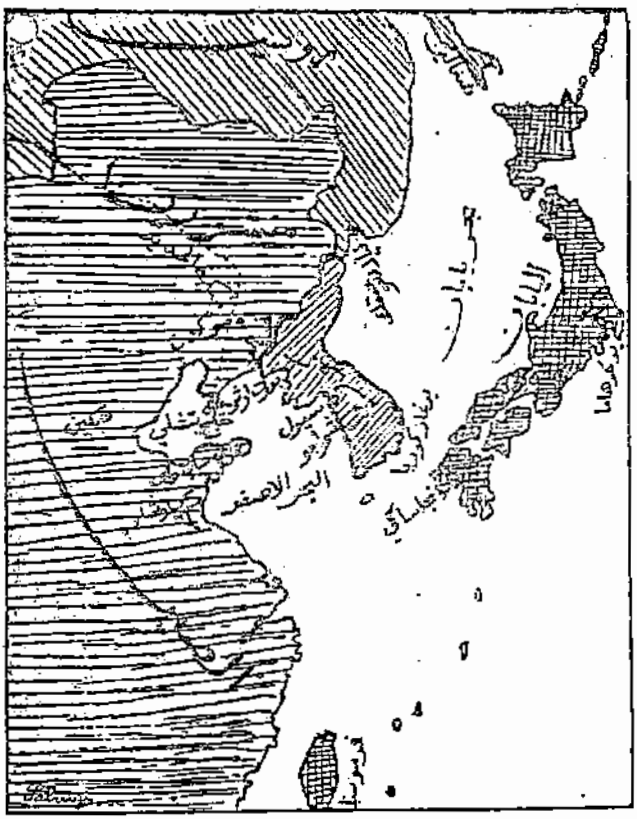

الروسي بلاّده وطاشت البقية . فعادت هذه البوارج الثلاث الى مدخل الميناء حذراً من الغرق اذا بقيت في الماء العميق واطلقت البوارج والحصون الروسية ناراً حامية متواصلة على النسافات اليابانية لكن اربعاً منها نجت من نار العدو وصيبت الخامسة فغرقت واشرفت السادسة على الغرق ففرّ بحارتها منها ونجوا بانفسهم ثم استحوذ الروس عليها قبلما تغرق وبعد ما ولّت النسافات اليابانية سارت الطرادات الروسية بقيادة الاميرال البرنس اخوتمسكي للبحث

والاستكشاف ثم عادت وانتهت المعركة الساعة الثالثة بعد نصف الليل وقد خسر الروس فيها قاية قتلى و٢٠ جريحاً ولم تصب العمارة الروسية ولا حصون الروس بضرر كبير ما عدا تعطيل لبارجتين والطراد التي مرَّ ذكرها وكان في الميناء نسافات روسية كثيرة وكذلك مدمرات ـومية ولكنها لم تكن مستعدة حينئذٍ لدفع هجمة النسافات اليابانية . فقد فاجأ اليابانيون ـوس بهجومهم وادهشوا الناس بخفة حركاتهم وما بدا من جرأتهم وشجاعتهم

وفي صباح الثلثاء (٩ الجاري) جاءت الاخبار من دالني (مدينة بالقرب من بورت ـرثر) انهم رأوا الاسطول الياباني متوجهاً غرباً مصطفاً في شكل الهجوم وقبل الظهر بساعة (ـيناهُ مقبلاً . وقد اصطفت بوارجهُ صفين وهي خمس عشرة ست بوارج وستة طرادات من الطراز الاول وثلثة من الطراز الثاني . وكان للروس حينئذٍ خارج الميناء ثلاث عشرة من البـارج والطرادات الكبيرة بقيادة الاميرال صتارك وهذه غير الثلاث التي عطلت واستقرت على الارض في مدخل الميناء الداخلي . وكان الجزر حينئذٍ

فدار القتال وابتدأت المعركة باطلاق البطرية البرية لمدافعها الكبيرة وكانت الريح تهب خفيفة والدخان يحجب ما يجري عن العيون ولكني رأيت كل ما يرى عن تل هناك مقابل مدخل الميناء . فوقعت قنبلتان بالقرب مني ونحو عشرين قنبلة في القسم القديم من المدينة والميناء الغربي حيث كانت بواخر كثيرة راسية من بواخر الامم التي على الحياد . ولما ابتدأت المعركة فرَّ اهل المدينة منها الى تل يقيهم شر القنابل وانفجرت قنبلة كبيرة من قنابل اليابانيين فدمرت بعض المحلات الكبيرة والبنك الروسي الصيني . وكان الناس قد هجروا الشوارع ووقف رجال البوليس يحفظون النظام واظهرت النساء والاطفال شجاعة عظيمة وتقاطرت العساكر من الثكنات المجاورة لتحتل اماكن منيعة وتصد اليابانيين عن النزول الى المدينة اذا حاولوا النزول اليها

وجرت بوارج اليابانيين تمخر غرباً حتى اذا قابلت البارجة منها بوارج الروس على بعد اربعة اميال اطلقت مدافعها عليها وكانت بوارج الروس على بعد ميلين من الشاطئ . واشتبك القتال بين الاسطولين بالمدافع فعددت اكثر من ٣٠٠ قنبلة من قنابلها لم يصل منها الى الغرض الاَّ القليل وبعضها لم ينفجر وانتهى اطلاق المدافع عند الظهر وجرت البوارج اليابانية جنوباً بعد ما خسرت بارجة واحدة وعُطِّل طراد كبير منها وطارد الطراد الروسي نوفيك سفينة صغيرة يابانية واغرقها ثم اصابتهُ قنبلة عند حد الماء ولكنهُ وصل الى الميناء سالماً فهنأ الاميرال صتارك ربانهُ القبطان اسن بالاشارة قائلاً احسنت احسنت وهتفت لهُ بوارج الروس كلها

بالتهاني . وكانت السفن الثلاث التي عطلت تطلق مدافعها على اليابانيين ايضاً مع سائر البوارج الروسية ساعة المعركة ثم جاء مدّ البحر فطفت احداها زاروتش ونطرت الى الحوض الكبير حيث تصلح الآن واما الطراد بلاده فقد اصلح ما عطل فيهِ بنفسهِ وانضم الى الاسطول واما البارجة رتفيزان فكانت لا تزال مستقرة على الارض عند خروجي من بورت آرثر . واصيبت الباخرة كازان من بواخر الاسطول المتطوع بقنبلة في الميناء الداخلي . وعاد السكون كما كان في الساعة الاولى بعد الظهر وجيء بالجرحى الى المستشفى انتهى . ثم اتضح من الاخبار التي وصلت بعد ذلك ان مدافع اليابانيين اصابت بارجة وثلاثة طرادات روسية في ذلك اليوم وان الروس خسروا في هذه المعركة ٩٠ نفساً بين قتيل وجريح ويقول اليابانيون انهم خسروا ٥٨ نفساً

وهجم اسطول ياباني آخر في ٩ فبراير على مرفإ شمولبو غربي كوريا وكان فيهِ طرّاد روسي ومدفعية روسية وجرى بينهُ وبينهما معركة هائلة وصفها مكاتب الدايلي مايل في سيول عاصمة كوريا فقال

معركة شمولبو

ان السفينتين الروسيتين الحربيتين وهما الطراد فارياق والمدفعية كوريتز حصرتا في مرفإ شمولبو فلم تجدا الى النجاة سبيلاً وحاولت المدفعية كوريتز الخروج من المرفإ بعد ظهر الاثنين (في ٨ الجاري) فرأت امامها الاسطول الياباني وهو مؤلف من ستة طرادات ومتلفتين وثماني نسافات فاضطرت ان تعود الى مكانها

وانزل اليابانيون جنوداً من سفن النقل ثم اعلنوا قومندان السفينتين الروسيتين بالحرب وبانهم يهاجمونهُ في المرفإ اذا لم يخرج منهُ حتى ظهر يوم الثلثاء واعلنوا ايضاً قومندانات بقية السفن الحربية التي على الحياد (بابتداء الحرب)

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء تفاوض قبطان الطراد فارياق مع رؤساء السفن الانكليزية والفرنسوية والايطالية على ظهر السفينة تلبت الانكليزية وطلب حمايتهم في خروجهِ من المرفإ فلم يلبوا طلبهُ فعاد الى سفينتهِ . وللحال اخذت السفينتان فارياق وكوريتز تخففان حملهما بطرح ما فيهما من الخشب ونحوهِ في البحر واجتمع بحارتهما وانشدوا النشيد الروسي الوطني وكانت الموسيقى تصدح فيهما وهما سائرتان الى نزال الاسطول الياباني

ووقف الضباط والبحارة في السفن الانكليزية والايطالية والفرنسوية وجعلوا يحيون البحارة الروسيين باعلى اصواتهم وسار زورق انكليزي الى سفينة الاميرال الياباني وسلم اليهِ رسالة

قبل القتال فيها الاحتجاج على ما يفعلهُ . وكان الاسطول الياباني بقيادة الاميرال اوريو علي ستة اميال من السفن الاجنبية التي في المرفإ . وقبل الظهر بعشر دقائق اطلق طراد ياباني قنبلة قطرها ثماني بوصات على السفينتين الروسيتين وهما خارجتان من المرفإ ثم اطلق قنبلة ثانية وثالثة وحينئذٍ اجابهُ الروسيون وكان المدى بينهم وبينهُ ٢٤٠٠٠ قدم

واصطف الاسطول الياباني للقتال وعند الظهر اشتركت سفنهُ كلها في اطلاق المدافع اطلاقاً متواصلاً على السفينتين الروسيتين وكان اكثرها مسدَّدًا على الطراد فاریاق وحاول الروس الخروج من خط النار ولكن اصابت الفاریاق خمس قنابل الواحدة بعد الاخرى وكانت مدافع اليابانيين الرشاشة تحصد رجالهُ حصدًا واصابت قنبلة منها رجال مدفع فقتلتهم او جرحتهم كلهم الاَّ واحدًا واصابت قنبلة اخرى مدفعاً فاحرقت الذخيرة كلها ومزقت قنبلة خشب المرقب وحرقتهُ فاضطر المدفعية ان يبطلوا اطلاق المدافع نحو خمس دقائق لان الفاریاق صار شعلة من نار وكانت القنابل تشويهم شيًا وتمزق اعضاءهم تمزيقاً ولكنهم بقوا امام مدافعهم يطلقونها بالاحكام

اما المدفعية كوريتز فلم يلحق بها ضرر كثير ولم يصب احد من بحارتها على ما يظهر وحاول الفاریاق الاحتماء بجزيرة هناك ولكن اصابت قنبلة آلتهُ التي تدير الدفة فعزم قبطانهُ ان يعود بهِ الى المرفإ ويلقيهُ على البر حتى لا يأسرهُ العدو ولكنهُ اضطر ان يتأخر في رجوعهِ الى المرفإ لان الكوريتز بطيئة السير وظل يطلق مدافعهُ على العدو في رجوعهِ الى ان دخل المرفأ ورسا على ٩٠٠ قدم من السفينة الانكليزية وحينئذٍ بعثت اليهِ السفن الراسية في المرفإ بالجراحين وقد قتل من رجالهِ اربعون رجلاً وضابط واحد وهو الكونت نيارد وجرح منهم ٦٤ وضابطان اما الذين اصيبوا من رجال الكوريتز فقلال جدًا وادعى اليابانيون انهُ لم يصب منهم احد وان القنابل الروسية لم تصب سفنهم

واعلن قبطان الفاریاق عزمهُ على نسف طرادهِ والمدفعية كوريتز فنقل رجالها الى السفن الاجنبية الراسية في المرفإ ونسف المدفعية كوريتز في الساعة الرابعة تماماً وفتح ابواب الماء في الطراد فاریاق واغرقهُ بعد ان اشعل ما فيهِ من الذخيرة وحرقهُ لكي لا يقع في يد اليابانيين وحرق ايضاً الباخرة الروسية شنغاري لكي لا تقع في يدهم

ولم يذكر هذا المكاتب ولا مكاتب النيويورك هرالد الذي شهد هذه المعركة ووصفها وصفاً مطولاً ايضاً ما لحق ببوارج اليابان من الضرر ولكن المسيو باولوف الذي كان سفير روسيا في كوريا قال ان السفينتين الروسيتين اغرقتا طرادًا يابانيًا وعطلتا آخر تعطيلاً كليًا

حتى غرق قبلنا حُرقتا وغرقتا واما اليابانيون فينكرون ذلك . وفي ذلك اليوم احتلّ اليابانيون مدينة سيول عاصمة كوريا

وفي ١١ فبراير مر الاسطول الروسي الذي كان في فلادفوستك بمرأى من جزيرة يزو اليابانية واحرق سفينة تجارية يابانية. وفي ذلك اليوم مست الباخرة الروسية ينيسي التي تركب الالغام لغماً عرضاً فنسفها واغرق ٥٦ نفساً فيها

وفي ١٣ منهُ عادت بعض النسافات اليابانية الى بورت آرثر واطلقت بعض طرايدها على البوارج الروسية ثم رجعت وهي تظن انها اصابت بارجة بطرايدها والروس يكذبون ذلك ويقولون انهُ في ١٤ الجاري مست قنبلة سفينة من سفنهم المتطوعة فلم تلحق بها ضرراً يذكر

وفي ٢٣ فبراير عاد اليابانيون يرومون سد مدخل الميناء في بورت آرثر فاحبط الروس سعيهم في ذلك وتفصيل الخبر ان اليابانيين ارسلوا اسطولاً من نساناتهم تحت جنح الظلام مع اربع بواخر مشحونة مواد مفرقعة وملتهبة قاصدين ايصال تلك البواخر الى مدخل الميناء واغراقها فيهِ لسدهِ فدنوا من المدخل بعد نصف الليل باعتين و٤٥ دقيقة وتم يحسبون ان الروس نائمون او لاهون كما وجدوهم في هجمتهم الاولى ولكن الروس احسوا بهم قبل ان يبلغوا المدخل فابتدروهم بالقنابل من البارجة رتفيزان ومن المدافع التي على البر حتى اذا اصبح الصباح وجدوا انهم قد دمروا البواخر الاربع وان ثماني نسافات يابانية فقدت راجعة الى الاسطول الياباني فجد ثلاثة طرادات روسية في اثرها ثم عادت والظاهر انها لم تدركها رأفةً لم يسفك دم في هذه المعركة . وقد بقي مدخل الميناء مفتوحاً كما كان وعاد اليابانيون بخسارة البواخر الاربع . هذه هي رواية الاميرال الكسيف الرسمية ويستدل من رواية هانباس ان الفضل في رد اليابانيين على اعقابهم كان للبارجة رتفيزان التي عطلتها النسافات اليابانية بالطريد في هجمتها الاولى على بورت آرثر

واستأنف اليابانيون الهجوم على بورت آرثر مراراً بعد ذلك لكي يسدوا مدخلهُ ويحصروا العمارة الروسية فيهِ فلم يفلحوا حتى اليوم الاخير من شهر فبراير حين كتابة هذه السطور

هذه خلاصة ماجرى بحراً واما براً فاهم ما طيرهُ الينا البرق ان الاميرال الكسيف انتقل باركان حربهِ الى خرابين حتى اذا ظفر اليابانيون في المستقبل بتخريب سكة الحديد وحصار بورت آرثر كان هو واركان حربهِ خارجها . وان الجنود اليابانية التي احتلت عاصمة كوريا زحفت قاصدة نهر يالو الفاصل بينها وبين منشوريا وان الجنود الروسية تسير قاصدة ذلك النهر وقد عبرهُ بعضها استعداداً لملاقاة الجنود اليابانية . وان الاسطول الروسي الذي مرَّ

بالسويس منذ مدة ووصل الى جيبوتي بقيادة الاميرال وير يتيوس عاد بامر من حكومته راجعاً الى روسيا ولكنهُ لم يعبر قنال السويس حتى الآن

وقد اغتاظ الروس من فعل اليابان غيظاً شديداً ونشرت حكومتهم منشوراً رسمياً في ١٨ فبراير قالت فيهِ

"لقد مضى ثمانية ايام منذ اهتزت روسيا كلها سخطاً وحنقاً على عدو قطع المفاوضات فجأة ورام ان ينال فوزاً هيناً في حرب طالما تمنادا بمهاجمتنا غدراً . فالامة الروسية تروم الانتقام العاجل بذاهب الصبر وتنتظر اخبار الشرق الاقصى باهتمام لا مزيد عليهِ وكل من تدبر اتحاد الشعب الروسي وقوتهُ لا يبقى عندهُ ريب في ان اليابان ستلقى العقاب الذي تستحقهُ على غدرها واثارتها للحرب حين كان قيصرنا المحبوب باذلاً جهدهُ في تأييد السلام بين الامم

"على ان الاحوال التي تجري هذه الحرب فيها تضطرنا الى الصبر والانتظار حتى تأتينا اخبار انتصار جنودنا وذلك لا يكون قبل ان يحارب الجيش الروسي العدو في معارك فاصلة وبعد ساحة الحرب عنا ورغبة القيصر في المحافظة على السلم لم نستعدّ لهذه الحرب قبل وقوعها بزمان طويل . فلا بد من مرور زمان طويل على روسيا حتى تضرب اليابان الضربات التي تليق بقدرها وتناسب قوتها وتؤدب تلك الامة التي استفزتها الى هذه الحرب التأديب الذي تستحقهُ مع بذلنا الجهد في حقن دماء ابنائنا . فلا بد لروسيا الآن من انتظار ذلك بالصبر الجميل موقنة ان جيشنا ينتقم لنفسهِ مئة ضعف من عدونا . ولا بد من انتظار الحرب برّاً مدة ايضاً وكذلك اخبار الحرب لا تأتينا من ساحة الحرب باكراً . ولا يليق بعظمة روسيا وقوتها ان تسفك دماء ابنائها على غير جدوى . هذا وان بلادنا تظهر من الاتحاد والرغبة في افتداء مصلحة الامة بنفسها حتى ان كل خبر حقيقي يأتينا من ساحة القتال يكون حقاً للامة كلها فتطلع عليهِ حالاً"

وقد اطلعنا على وصف مسهب للاسطول الروسي والاسطول الياباني في جريدة السينتنك اميركان التي يعوّل عليها في هذه المسائل فنشرنا خلاصتهُ في باب الاخبار في هذا الجزء . وفضلنا نشر هذا الفصل عن الحرب هنا على نشر ما كنا نريد نشرهُ من فلسفة سببه لان للحرب الحاضرة اكبر شأن في مصالح البشر وعليها وسيكون مدار المناظرة القديمة العهد بين الشرق والغرب . فان فازت روسيا ومحقت دولة اليابان بقي الفوز للغرب على الشرق قروناً كثيرة وان فازت اليابان ولم تعارضها اوربا في إنهاض بلاد الصين فلا يبعد ان يعود الفوز للشرق في بلاد الشرق في القريب العاجل